حولية الكوفة

دورية سنوية محكمة، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به . العدد السابع . شوال ١٤٣٨هـ / تموز ٢٠١٧م

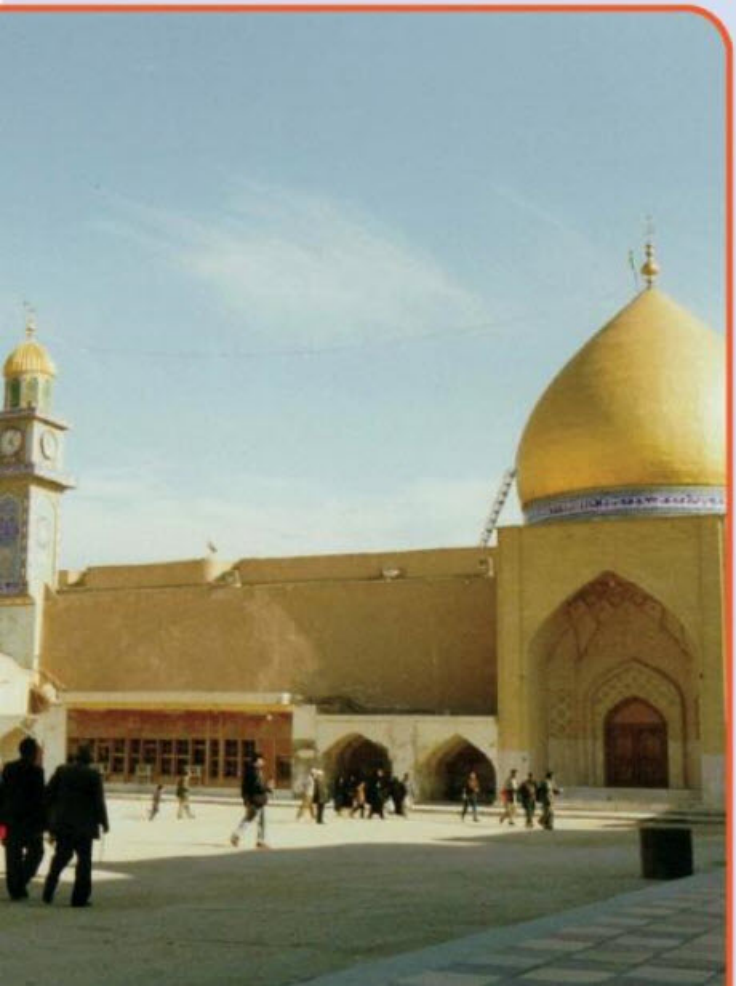

٧

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد محمد مجيد الموسوي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

الكـوفة

في رحلة الرّحالة الهندي نواب ميراس كليخان بهادر المسماة ((عراق وإيران))

ترجمة العلامة الجليل الشّيخ ب.ح.ن

كوفة

تأسست هذه المدينة سنة ٦٣٦م ولم تكن في آنذاك سوى معسكر إسلامي ولكن عقب ذلك أصبحت مدينة حضارية كبرى لها شأنها ومحلها في الحضارة والتّاريخ والسّياسة ثمّ في سنة ٦٥٦م ارتفع مستواها إلى العاصمة الكبرى للدولة الإسلامية العظمى، ولكن آب عليها الانحطاط والانخفاض لحوادث تاريخية معروفة فبقي لواءاً يتولاها وال من قبل سلطان عصره وذلك في سنة ٦٦١م ثمّ ما زالت مهداً للحروب والحوادث الدّامية إلى أن أسست عاصمة بغداد في سنة ٧٦٢م، وأصبحت بغداد تترقى وارتفاعها مضافاً إلى الحوادث والحروب المستمرة في الكوفة خفض مستواها المعيشي والسّياسي حتّى لم تبقَ سوى قضاء محدود، أخذت ريب الحدثان جمالها وبهاءها والزّائد عليه ما كانت عليه من عظمة وشأن بما ترمز إليه تلك الآثار القديمة المنبسطة في أرجائها وحواشها، وبما أنّها وقعت على شاطئ الفرات ولذلك تراها محاطة بالبساتين والحدائق النّاضرة والخضروات والحقول ومنه يزعم أنّ جوها وهواها أحسن وأوفق بالقياس إلى غيرها من المدن والقرى المتجاورة ومعيشة أهل النّجف وما والاها من تلك البساتين وهم يقصدونها بغية النّزهة والتّفريج، وسكان الكوفة عرب وربما تأتيها الحاجيات المفتقر إليها سكانها من الأقاصي بوسيلة الزّوارق والسّفن يكتفي بها أهلها، ولكن الآن قد أخذت البنايات الحديثة تبدو في ضواحيها ويرجى اتساعها في المستقبل القريب، عربات موصولة بين النجف والكوفة متوفرة غالباً في الكوفة سوق مختصر المأكولات النّيئة والمطبوخة تتوفر على شاطئ الفرات مقاهي وكازينات على سنخ المقاهي في أرجاء العراق وربما يوجد الحمامات أيضاً إلا أني لم أفتقر إليها كي أتأكد من وجودها، وهناك دار الشّرطة مختصرة وقضاء محدود، وكان أهالي الكوفة في سلك السّرقة وقطاع الطّريق في زمان السّلطة التّركية على العراق ولكن من لدن شكلت حكومة جديدة في ظل الاستعمار البريطاني انخفضت حركات هؤلاء المفسدين، النّجف تفقد الماء الحلو وأهاليها يعانون الصّعوبة المتناهية من قلة الماء وهناك مخطط لسحب ماء الفرات بالأنابيب وقد أخذوا في العمل، وكان النّاس في السّابق يسافرون إلى كربلاء للزيارة في الزّوارق والسّفن الصّغيرة وما زال دأبهم حتّى اليوم ولكن بنسبة منخفضة وأغلبهم الآن يرغبون في السّفر بالسّيارات رعاية للوقت وسهولة السّفر، ولا يوجد في الكوفة ما يدعو للرغبة في السّفر إليها سوى تلك المقامات المقدسة.

الكوفة وما والاها قد شرفت بعدة مقامات مقدسة دينية منها قبر نبي الله يونس(عليه السلام) ويقع ذلك في ضواحي الكوفة على الشّط وهذا القبر مختصر جداً وعليه بناء وقبة بسيطة وعليه خادم موكل، ومنها قبر السّيدة خديجة الصّغرى بنت أمير المؤمنين(عليها السلام) وموقعه بين المدينة وجامع المسجد الكبير وعليه أيضاً قبة صغيرة وبناء مختصر جداً وخادم موكل، ومنها: المسجد الجامع الكبير هذا هو المسجد الّذي كان أمير المؤمنين يصلي فيه ومحرابه الّذي استشهد(عليه السلام) فيه محفوظ حتّى الآن يزار ويصلى فيه، وفي المسجد مقامات مقدسة، يوجد على كلّ واحد منها حجر حفر عليه اسم المقام والزّيارة الّتي يزار بها عليه ويوجد هناك ما يدل الزّائر إلى المقام واسمه ويتولى تسهيل زيارته إلا أنّه لا بد من دفع شيء إليه هدية أو أجرة لعمله والأولى أن يحمل الزّائر كتاب مفاتيح الجنان أو كتاب تحفة الزّائر لأنّ فيهما تلك الزّيارات المشرفة، ومن تلك المقامات ما يلي: مقام آدم(عليه السلام)، مقام نبي الله نوح(عليه السلام)، والمقام الّذي كان مرسى لسفينة

نوح(عليه السلام)، ومقام نبي الله إبراهيم(عليه السلام)، ومقام رسول الله محمّد بن عبد الله(صلى الله عليه وآله)، ومقام جبريل(عليه السلام)، ومقام الإمام زين العابدين(عليه السلام)، وفي جوار المسجد قبر مسلم بن عقيل(عليه السلام) ويحاذيه قبر هاني بن عروة «عليه الرّحمة» وهناك خدم موكلون يزورون النّاس ويستلمون حقهم وفي عقب قبر المسلم قبر مختار الثّقفي «عليه الرّحمة» والزّوار يقرؤون الفاتحة عليها وعقب الجامع بناء مختصر عليه قبة بيضاء يقال أنّه بيت أمير المؤمنين(عليه السلام) ويشتمل ذلك على عدة غرف وحمام ومكتبة وصوفة للجلوس وفي الكوفة أربعة مساجد أخرى وهي لمسجد السّهلة وهو يبعد عن بيت أمير المؤمنين حوالي ربع الميل وفيه المقامات التّالية: مقام إبراهيم(عليه السلام) ومقام إدريس(عليه السلام) ومقام خضر(عليه السلام) ومقام الإمام زين العابدين(عليه السلام) ومقام الإمام جعفر الصّادق(عليه السلام) ومقام الإمام ولي العصر عجل الله فرجه ومقام الصّالحين ولكلّ مقام زيارة مخصوصة ويهتم بمقام ولي العصر أكثر من سائر المقامات نظير الاهتمام بمحراب أمير المؤمنين في جامع الكوفة.

ومن المقامات المقدسة في الكوفة قبر ميثم التّمار صاحب أمير المؤمنين «عليه الرّحمة» الّذي استشهد على محبة أمير المؤمنين ومن أولئك المقامات قبر كميل بن زياد صاحب أمير المؤمنين المشهور وعلى القبرين تقرأ الفاتحة وهما بقرب المسجد السّهلة ومن المقامات مسجد الحنانة ويروى خبران عن هذا المسجد: الأوّل: إنّه دفن فيه رأس الحسين(عليه السلام) المقدس، الثّاني: إنّه وضع فيه الرّأس مع رؤوس الشّهداء لعدة ساعات قبل دخوله في الكوفة حينما جاؤوا به من كربلاء وأعتقد أنّه هو الصّحيح الموجود في الكتب القابل للتسليم وهنا أيضاً زيارة وهو قريب من النّجف جداً.

النّجف الأشرف

وأساس مدينة النّجف من لدن شهادة أمير المؤمنين وهو سنة ٤٠ المصادف سنة ٦٦١م ودفن(عليه السلام) في النّجف وإن كانت الشّهادة في الكوفة، مدينة النّجف في جنوب بغداد على بعد /١٠٠/ ميل تقريباً وفي غربي الكوفة على /٦/ أميال على مرتفع على شاطئ الفرات /١٢٠/ ميل تقريباً، مدينة النّجف تمتد ٣٣ ميل تقريباً وعدد سكانها يربو عن /٤٥/ ألف نسمة أو أكثر ويحيط بها سور مستحكم أسست سنة ١٣١٥م وفي وسطها ضريح أمير المؤمنين وتأخر تعمير القبر عن دفنه هناك نحو ١٢٥ سنة ثمّ اتسع مشروع تعميره على أيدي سلاطين إيران لاسيّما السّلاطين الصّفوية لحبهم به(عليه السلام) وانتمائهم لمذهبه وهناك هدايا من سلطان نادر القاجاري وبعض ولاة الحكومة العثمانية وبها تتضاعف رونق الطّاهري وروعته، وحول المرقد الشّريف صحن واسع محاط بسور مزخرف مستحكم عليه الأبواب التّالية: باب الطّوسي، باب العباجية، باب القلق، باب القبلة، باب السّلطاني أو العمارة، والسّور محكم وفيه غرف وحيطانها مزخرفة بالصّبغ الكاشاني وفي وسط الصّحن ضريح قبته مذهبة ومنارتاه مذهبتان والأبواب الفضية وكافة الجدران والحيطان مرصعة بالكاشي المزخرف وكتبت الآيات القرآنية بخط حسن وفي داخل البناء مرصع بالمرآة بنحو حسن خصوصاً داخل القبة المطهرة وهناك شموع وقناديل ذهبية تساوي ألوف وألوف روبية ومجوهرات ثمينة معلقة وذلك التّاج الّذي أهداه سلطان نادر ما زال موجوداً في جانب الضّريح المقدس والحاصل أنّ كثرة الذّهب والفضة والمجوهرات على الضّريح كثرة الرّمل والحصى، وحول الضّريح شباك حديدي من الدّاخل وفضي من الخارج وعليه سقف فضي بطابقين وعلى القبر داخل الضّريح صندوق كبير ثمين مزخرف مغطى دائماً وفي جانبه سيف ومجن معلق وللضريح هيبة إلهية وعظمة وجلال لا مثيل له في العالم.

والأرض حول الضّريح مفروشة بالرّخام وعليه زوالي كبيرة ثمينة وللقبر رواقات متعددة وتراها تغص بالمصلين من العلماء والزّوار وترى النّاس حول الضّريح بين المصلي والتّالي للقرآن وبين الدّاعي والمتضرع لربه أمام عظمة الضّريح ومن فيه وفي كلّ رواق تقام الصّلاة جماعة في اقتداء واحد من الأعلام والغطريف من غطارفة النّجف والحوزة العلمية وترى بين هنيهة وهنيهة الواعظين والخطباء من العرب وغيرهم يقومون بأداء الوظيفة بالوعظ والإرشاد لمن يروم الزّيارة ويخدمون الشّرع المقدس ببيان الأحكام الواجبة التّعلم وفضائل أهل البيت ومصائبهم والقبر دائماً مزدحم بالزّائرين رجالاً ونساءً وللقبر نحو /٤٠٠/ خادم يرأسهم صاحب المفتاح «كليدار» من أولئك الخدم من يكنس القبر وما حوله ومنهم من يكون بالباب يدير «الكشوانية» ومنهم من يقوم بغيرهما من الخدمات كلّ له شغل ووقت محدد وبالليل خصوصاً ليلة الجمعة تقوم الخدمة مصطفين أمام الضّريح ليحيون صاحب القبر بالفضائل والصّلوات ويقومون بخدمات أخرى، وفي السّابق كانت القناديل والفانوس تستخدم للضوء ولكن من خمس سنين قام أحد كبار التّجار الإيرانيين فهيّأ للضريح الكهرباء فالآن القبر والصّحن متنور بأنواع من الشّموع والضّوئيات الكهربائية وبالليل ترى القبر والضّريح وما يحيط بهما مغطى بنور يتفايض منه في كلّ جانب الرائي يتحير من ذلك ويقف خاضعاً للهيبة القدسية تغمره ..

بي أدب بامنه انيجاكه عجيب دركًا هست
كده كَاه ملك وروضه شهشا هست

وهناك أيضاً زيارات وترى الألواح معلقة في الحيطان وجوانب الأبواب وقد كتبت تلك الزّيارات الفصيحة البليغة بخط جلي واضح والزّوار يزورون من تلك الألواح وعند كلّ كشوانية كتب الزّيارات والأدعية موقوفة لخدمة الزّوار ويستعيرها القاصدون وهناك خدم أيضاً مستعدون لأن يزوّروا كلّ من أراد ذلك منهم ويأخذون عوض ذلك ممن استعان بهم في ذلك وتحت هذه القبة المقدسة مع أمير المؤمنين نبيان عظيمان نوح وآدم(عليهما السلام) ولذا الزّائر يزورهما كما يزور أمير المؤمنين ثمّ وإن كان الضّريح مزدحماً دائماً بالزّوار إلا أنّ هناك أيّاماً مخصوصة تمتاز عن غيرها وهي الأيّام تعرف بأيّام زيارات مخصوصة وهي: ١٧ ربيع الأوّل يوم ميلاد الرّسول الأعظم، و٢٧ رجب يوم مبعثه(صلى الله عليه وآله)، و٢١ شهر رمضان المبارك وهو يوم شهادة أمير المؤمنين(عليه السلام)، و١٨ ذي الحجة وهو يوم الغدير يجتمع في ذلك الزّوار من الهند ومصر والشّام وإيران وجوانب النّجف وأهلها خلق كثير وعلى قول: خامس ليل Mr. Thamer lvell يتجاوز مائة وثلاثين ألف زائر وبعد الزّيارة يرجعون إلى أمكنتهم وليس للزوار مقام للاستقامة نعم للبهرة فندق مخصوص بهم وهو مقابل باب مدينة النّجف وحيث لا مقر هناك للزوار فيلجأ حيث أمكنه ذلك وخصوصاً في تلك الأيّام الخاصة ترى الرّواق والصّحن ممتلئاً بهم والقاصدين من الأقاصي يقومون مع خدم الحضرة في بيوتهم ثمّ يؤدون ما واجب حقهم لكلّ طائفة وصنف خادم خاص ولأهل الهند خدم من بيت الكمونة مثل السّيد النّوري والسّيد باقر والحاج السّيد جعفر وغيرهم فهم الّذين يقومون بما يلزم الزّائر هناك من زيارة وإرشاد وغيرها من اللوازم للتي يفتقر إليها المسافر وكانت إقامتي لدى الحاج السّيد جعفر الكمونة وكنت في أتم الرّاحة والسّعادة ما دمت هناك وأمدني بكافة اللوازم وارتحلت شاكراً له وخدم الحضرة وسائر المصارف اللازمة تقوم بها الأوقاف الموقوفة عليها.

وفيما يلي تفصيل موارد الأوقاف: أجرة العقار وغيرها وأجرة دفن الموتى في الصّحن وحجره والمبالغ المهدية للحضرة،

وهناك مخزن عظيم يشتمل على المجوهرات الّتي أهديت إلى الحضرة وما زالت تهدى ولها مقام مخصوص وسجل وعليه مسؤول وناظر وهو صاحب مفتاح الحضرة -كليدار- وحول فصيل الصّحن وجوانبه بيوت النّجف وأسواقها والباب الّذي يدخل منه الجائي من الكوفة وكربلاء في جوانبه مقاهي حيث توجد الشّاي والقهوة والشّراب والثّلج على الدّوام يجتمع فيها النّاس من كافة الطّبقات الأعالي والأسافل وهنا تحل العقد وتعقد وتتم المعاملات وهذه المقاهي تنوب عن الأندية في سائر البلدان إلا أنّ طلاب العلم والعلماء يتجنبونها ويتنزهون عن الجلوس فيها لأنّ الجلوس فيها يعتبر عيباً لهم وبعد دخول الباب -باب المدينة- نمر من سوق كبير مسقوف حيث توجد كافة الحاجيات المطبوخة والنيئة والأقمشة والأسلحة والظّروف والثّمار والفواكه وغيرها من لوازم الحياة وفي نهاية السّوق بمقابل باب الحرم مقهى صغير ومحلات مجوهرات تباع الفيروزات والعقيق والدّر وغيرها.

❖❖❖